

التبيان في تفسير القرآن

(186) السلام وهو امر بالاقرار بالنبوة، وما جاءت به من الشريعة اللغة: وانما وحد " كافر " في قوله: " ولا تكونوا أول كافر "، وقبله جمع، لما ذكره الفراء والاحفش: وهو أنه ذهب مذهب الفعل، كأنه قال: أول من كفر به ولو أراد الاسم لما جاز إلا الجمع ومثل ذلك قول القائل للجماعة: لا تكونوا أول رجل يفعل ذلك قال المبرد: هذا الذي ذكره الفراء خارج عن المعنى المفهوم، لان الفعل ههنا والاسم سواء إذا قال القائل: زيد أول رجل جاء فمعناه أول الرجال الذين جاؤوا رجلا رجلا، ولذلك قال: أول كافر، وأول مؤمن ومعناه: أول الكافرين وأول المؤمنين لافصل بينهما في لغة ولا قياس إلا ترى أنك تقول: رأيت مؤمنا، ورأيت كافرا كما تقول: رأيت رجلا لا يكون إلا ذلك، لانك انما رأيت واحدا، كما تقول: رأيت زيدا أفضل مؤمن، وزيد أفضل حر، وزيد أفضل رجل، وانبل غلام، وليس بين ذلك اختلاف ولكن جاز ولا تكونوا أول قبيل كافر به، وأول حزب كافر به، وهو مما يسوغ فيه النعت، ويبين به الاسم، لانك تقول: جاءني قبيل صالح، وجاءني حي كريم، فینعت به الجمع، اذا كان الجمع اسما واحدا لجمیعه كقولك: نفر، وقبیل، وحزب، وجمع ولا تقول: جاءني رجل كريم، وانت تريد برجل نفرا كما تقول: نفر كريم، لان النعت جار على المنعوت والاسم منفرد بنفسه ونظير قوله: " أول كافر " قول الشاعر: فاذا هم طعموا فألام طاعم * واذا هم جاعوا فشر جياع (1) المعنى: ومعنى قوله: " ولا تكونوا أول كافر به " قال قوم: يعني بالقرآن من أهل الكتاب: لان قریشا كفرت به قبلهم بمكة وقيل: معناه: لا تكونوا أول كافر به أي لا تكونوا أول السابقين بالكفر فيه فيتبعكم الناس أي لا تكونوا أئمة في الكفر به وقيل: لا تكونوا أول كافر به أي أول جاحد به إن صفته في كتابكم _____ لرجل جاهلي معاني القرآن للفراء طعموا: شبعوا (*)